جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة: الثانية

مادة: الادب الإسلامي

محاضرة: شعر الجهاد والفتوح الاسلامية

مدرس المادة: م.م. زبيدة ماهر صالح

المحاضرة: الثامنة

١٤٤٧هـ ٢٠٢٦م

شعر الجهاد والفتوح الإسلامية :

إن التغني بالبطولة والأمجاد ظاهرة أدبية موجودة في أدب ما قبل الإسلام، عرفناها في أدب الفروسية، وشعر أيام العرب، أو مفاخر الشعراء بقبيلتهم الذي يجعلهم يمجدون بطولات فرسانها، أو يشيدون ببطولاتهم بالذات دفاعاً عن القبيلة أو أخذاً للثأر، وغير ذلك من المعاني التي دارت على ألسن الشعراء الفرسان عند عنترة بن شداد، وشعراء الصعاليك مثل عروة بن الورد والسليك والشنفرى وغيرهم من الشعراء. إن شعر الفروسية هذا قد تطور في العصر الإسلامي، وقد دخلت فيه مفاهيم جديدة أغنته وأعطته طابعاً خاصاً حين ابتعد الشعراء الفرسان عن العصبية القبلية، أو الهوى الشخصي، واكتسبت أشعار البطولة عندهم طابعاً دينياً مبعثه العقيدة الراسخة والإيمان الذي لا يتزعزع، واذا بالشعراء المسلمين يتغنون بأبيات تثير حماسهم، وحماس من معهم، ويتخيلون الجنة وظلالها الوارفة، فتتحول السيوف المشرعة أمامهم إلى أغصان مورفة توصلهم إلى الجنة، وإذا بصليل تلك السيوف نغمات تطرب نفوسهم لها، لأنها تقربهم من الأمل المنشود، الشهادة في سبيل الله، أو النصر على الأعداء حيث الثواب والأجر.

أ–الثبات على العقيدة في مكة :

وقد ظهرت هذه الصورة منذ فجر عصر الدعوة الإسلامية، فمنذ أن ظهر الإسلام بمكة، وقريش والمشركون يحاولون أن يثنوا المسلمين عن الدين الجديد بشتى الطرق والوسائل، فلما أعياهم ذلك لجأوا الى القوة والبطش وتعذيب المسلمين. وقد وصلت بعض المقطوعات التي عبر فيها أصحابها عما يلاقونه من عذاب وهول على أيدي المشركين، فهذا خبيب بن عدي الأنصاري الذي قتله المشركون بمكة يدعو الله – قبل قتله أن يصبره على تحمل أذى المشركين، وهو غير خائف من القتل، إنما هو خائف على عقيدته من أن تضعف، أو تهون بسبب تعذيب المشركين له، فيخاف على نفسه من عقاب الله في الآخرة. وقيل إنه قالها حين أسرة مشركو قريش في مكة وعذبوه

ب–الهجرة في سبيل الله:

وحين أذن الرسول الكريم (صل الله عليه وسلم) للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة، ووجد المسلمون هناك الأمن والطمانينة، بعث بعضهم رسائل شعرية إلى أخوانهم المسلمين يرغبونهم في الهجرة، فأرض الله واسعة، ويستطيع المسلم أن ينأى عن الذل والهوان، فيقول عبد الله بن الحارث :

يا راكباً بلغن عني مغلغلة من كان يرجو بلاغ الله والدي

لقد شاء الله أن يختبر صبر المسلمين، في تحملهم لأذى المشركين مرة، وتحمل فراق الأهل والديار والأحبة مرة أخرى. وتكون الهجرة هذه المرة الى المدينة، فيترك المسلمون ديارهم وأهليهم وأحباء هم مهاجرين بدينهم، ملتحقين بالنبي .

جـ – الجهاد في سبيل الله :

لقد قيلت هذه الأشعار أول الدعوة الإسلامية حين كتب الله لدين الإسلام أن ينتشر ، وأن يجد أنصاراً من أهل المدينة والمهاجرين، فأمرهم بالجهاد وأذن لهم في مقاتلة المشركين، وهنا تدخل أشعار الجهاد مرحلة جديدة تعطيها نفسا خاصاً حين يشجع المسلمون بعضهم بعضا على الثبات في المعارك، وهو معنى وارد في شعر ما قبل الإسلام، إلا أن الروح الإسلامية قد وجهته وجهة جديدة، فالشاعر المجاهد يدعو الى الصبر في القتال أو الموت في سبيل الله أملاً في الجنة وثواب الله فيها . فهذا عمر بن الحمام يرتجز يوم بدر ثم يستشهد في المعركة نفسها قائلاً قبل استشهاده :

ركضاً إلى الله بغير زاد والصبر في الله على الجهاد

وقد مر بنا نموذج رائع من نماذج المجاهدين الذين استماتوا في القتال، وجاهدوا بروح مفعمة بالإيمان والصبر وتمني الشهادة في سبيل الله من خلال دراستنا التفصيلية للشاعر المجاهد عبد الله بن رواحة، والعودة إلى أشعار هذا الشاعر بين الفينة والأخرى يعيد الى الذاكرة صور أبطال وجهت مبادئ الإسلام تفكيرهم وسلوكهم فصاروا مشاعل تنير درب المجاهدين الصابرين مما قد مر بيانه من قبل، ولذلك نتابع روح الجهاد والصبر في شعر الشعراء الآخرين. فهذا مجاهد آخر يمتحن الله إيمانه في بدر فتقطع رجله، ويبقى مع ذلك صامدا ثابتا على دينه راغبا في الجهاد والقتال، فإن كانت رجله قد قطعت في سبيل الله، فسيكون جزاؤه الجنة ثوابا من الله تعالى، ونراه متمثلا فيها بآيات كريمة تصف الجنة، وما فيها من الحور العين والظلال الوارفة

د صور إنسانية في شعر الفتوح:

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا بأننا نجد في الشعر الذي قيل في عصر الفتوحات الإسلامية أسمى العواطف الإنسانية في علاقة الأفراد بعضهم ببعض، وفي انفعالاتهم وهواجسهم، وتصوير ما يخالج نفوسهم من مشاعر الشوقو الفرح والانفعال السريع بالانتصار، أو ربما ما يخالج نفوس بعضهم من خوف يعتريهم أو قلق على الأهل والأحبةوقد اخترنا الحديث عن هذه الصور الإنسانية المشرقة التي وردت في شعر هذا العصر، ونستطيع أن نوزعها على مجموعتين :

١ – شعر المقعدين والشيوخ : وهي صور إنسانية رائعة لم ترد على لسان المجاهدين، وإنما قالها الشعراء المقعدون الذين قعدت بهم شيخوختهم عن الجهاد والمشاركة فيه، ولم يكتفوا بهذا، بل تجاوزوه الى المطالبة بالتشبث بأبنائهم لأن ضعفهم الجسدي أدى إلى ضعف إرادتهم وعدم قدرتهم على الصبر وتحمل الفراق، كما انه يصور من جانب آخر ثبات الأبناء على عقيدتهم، واندفاعهم إلى الجهاد مع علمهم برغبة آبائهم وأمهاتهم.

٢ – شعر الشباب والابناء المجاهدين : إن روح الحماس التي طغت على الشباب جعلتهم ينضوون تحت راية الجهاد الأكبر تاركين حياة الاستقرار . ويجب أن نتذكر هنا أن طبيعة تكوين الجيوش آنذاك مختلفة كل الاختلاف عن حالتها في الوقت الحاضر، فقد كان الانضمام إليها تطوعاً لا إجبارا، ويكفي أن ينادي منادي الخليفة بأن الجيوش تتوجه إلى فتوح العراق، أو الشام أو بلاد فارس، حتى يسرع الرجال والمقاتلون بأسلحتهم، يدفعهم الإيمان بالله وطلب ثوابه. هذه الروح هي التي جعلتهم يتغاضون عن الانفعالات والعواطف القوية التي تربطهم بأهليهم وأحبائهم، فالنابغة الجعدي يصور في أبيات له زوجته المحبة التي ترغبه في البقاء ، وتذكره بالمودة التي تجمع بينهما، وتحاول ان تثنيه عن عزمه بدافع الحب، والخوف عليه خوف الشفيق الودود، او تذكره بالله ورسوله وتنهل دموعها، فيجيبها جواب العقيدة ويشير الى قوله تعالى: كتب عليكم القتال وهو كره لكم) (سورة البقرة الآية) وكيف ينثني عن عزمه وواجبه وهو ممن لم تستثنه الآيات الكريمة حين استثنت الاعمى والاعرج والمريض من فرض الجهاد ؟. باتت تذكرني بالله قاعدة والدمع ينهل من شأنيهما سبلا.

هـ – وصف المعارك :

واذا كان شعر الفتوح قد صور جانب العقيدة كما مر بنا ، فان الشعراء استمروا على ما عرفه الشعر قبل الإسلام من وصف دقيق للمعارك والقتلى، مما يمكن أن يُعد استمراراً له، مع ما وجد فيه من إشارات ذات طابع خاص. يقول ربيعة بن مقروم مفتخراً ببطولاته في المعركة دون ان يكون لفخره طابعا مميزاً اللهم إلا إشارات إلى معركة الفيلة التي اقترنت بفتوح العراق حيث استعملها الفرس في جيوشهم :

و دعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل

و– وصف طبيعة البلاد المفتوحة :

وهناك صور أخرى تتعلق بشعر الفتوحات الإسلامية وهي التي قيلت في الوصف، وأهميتها متأتية من أنها تمثل مادة جديدة أضيفت إلى فن الوصف الذي برع ... فيه شعراء ما قبل الإسلام وقامت قصائدهم عليه. لقد اعتاد العربي في صحرائه أن يصف ما فيها من حيوان وطبيعة، فكان من بين الأوصاف الكثيرة وصف الفرس

والناقة، لأنها أساس حياته وقوام معيشته ولا عجب أن نجد وصف شعراء قبل الإسلام لفرسهم أو ناقتهم دقيقا رائعا يدل على معرفة تامة بهذين الحيوانين، وتأمل مستمر لأعضائهما وعاداتهما، حتى ليخيل إليك أن بين العربي وفرسه علاقة وثيقة جدا قد تقرب من العلاقة الإنسانية بين شخص وآخر في بعض الأحيان، فتقرأ شعرا لأحدهم يصور لك فيه شكوى جمله من متاعب السفر ليلا، ويجيبه الشاعر بأنهما متساويان في هذا البلاء وما عليهما إلا الصبر، وكأن هناك وحدة أحاسيس بينهما. وواقع الحال أن الشاعر أراد أن يعبر عن بلاء السفر الذي عاناه، فعبر عنه بهذا الأسترب اللطيف

شكى الي جملي طول السرى صبراً جميلا فكلانا مبتلى

وإذا أحس العربي بالتعب، وثقل الطريق وعنائه، فانه ينظر الى ناقته نظرة عطف ومشاركة لأنها صبرت معه طول هذه السفرة الطويلة لذا يبشرها بانتهاء الرحلة أو الحصول على الماء.

ز – الرسائل الشعرية :

ومن الميادين الطريفة التي استخدم فيها الشعر ، إيصاله فكرة الشاعر على شكل رسالة شعرية يبعثها إلى من يريد إبلاغه بها. وقد مرت بنا أبيات الحتات التي تمثل رسالة مجاهد يخاطب بها أباه، ويبين له فيها ثباته علىالجهاد ورغبته فيه، وأن شجاعته قد عرفها رفاقه المجاهدون، لذا سيبقى بينهم، لان الخيل وفرسانها قد عرفوا مكانته في القتال وأهميته. وقد كتب الجنود أبياتا من الشعر بعثوها إلى الخليفة أو إلى قائدهم، مخبرين عن حالهم منبهين الخليفة الى حالة خلاف تحدث بينهم وبين قائدهم أو بين قائدين من قواد الفتوح، كما ذكر البلاذري في شأن الخلاف الذي حدث بين سلمان بن ربيعة الباهلي وحبيب بن مسلمة الفهري، وكانا قائدين اختلفا حتى تغالط حبيب وسلمان في القول وتوعد بعض المسلمين سلمان بالقتل فقال الشاعر :

إن تقتلوا سلمان نقتل حبيبكم وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل

ر – الحنين إلى الوطن ورثاء النفس: من الموضوعات التي غذتها الفتوحات الإسلامية، واعطتها نكهة خاصة نتيجة البعد المكاني عن موطن الشاعر شعر الحنين وما قيل من قصائد في الحنين إلى الديار والأهل والأحبة، وقد ورد بعضه مصاحبا للغزل حين يتذكر الشاعر حبيبته، فتهيج عواطفه، وتتحرك صبابته فيذكر دياره وبعده عنها، وقد ينتقل الشاعر بعدها للحديث عن بطولته. إن حديث الحنين صار جزءاً من المقدمة الغزلية يقول بشرين ربيعة بن عمرو الخثعمي ذاكرا خيال أميمة الذي راوده مع بعد المسافة بينه وبين الحجاز :

ونجد أروع أشعار الحنين في أشعار الشعراء الذين أحسوا بدنو أجلهم، فتذكروا أهلهم وأحباءهم وتشوقوا إليهم. ورثوا أنفسهم رثاءاً رائعاً زاخراً بالعاطفة الصادقة الجياشة، وتطل علينا قصيدتان رائعتان في رثاء النفس قصيدة كثير بن الغريرة النهشلي، وقصيدة مالك بن الريب. فالأول كان ضمن فتح جوزجان والطالقان والثاني صحب سعيد بن عثمان في فتح خراسان. أما كثير فقد تحركت شجونه حين استشهد بعض أصحابه، فرثاهم ببيتين فقط في مطلع القصيدة وانتقل بعدها إلى حديث الحسنين حيث يبدأ بالبرق اليماني الذي يذكره بأهله، ولكنه يؤكد بان حنينه لم يكن جزعا بسبب استشهاد صحبه، ولا خوفا من الموت، ولكن لأن هذا البرق اليماني ذكره بأهله الذين يتشوقون الى رؤيته، وينتظرون لقاءه الذي لن يكون :

سقى مُزَنَ السحاب إذا استقلت مصارع فتية بالجوجزان

إلى القصرين من رستاق اقادهم هناك الاقرعان